الفصل السادس والعشرون

حصد الزوبعة

وبعد خروجهِ دخل دك سافيل وزوجتهُ فقالت هذه للمستر بركز بعد التحية : —

— لقد حاول دك ان يمنعني عن الحضور كأنهُ لا يشاء ان اشاهد تبرئة صديقي القديم غودارد . لقد مضى وقت طويل منذ اجتمعنا آخر ليلة وحضرنا تمثيل تلك الحادثة المشومة . لم يكن في حسباني انها تختم بذلك المنظر الصادع واظنك سمعت بمرض السيدة اس الطويل الشديد

— نعم ولكن لم اقف على تفاصيل ذلك

— اعلم انها بعد ما ابلّت وصحت من تلك السكرة لم تلم احدًا غير نفسها وقد الحّ عليها اهلها في تطليق زوجها فلم يسعها مخالفتهم . لكنها اسرّت اليّ بعد ذلك انها تنتهز فرصة عرض رجوعها اليهِ

— ولكن لماذا ؟

— لاجل ولدها . فما اشدّ بلادة وغباوة النساء الصالحات ! ولما اطلعتني على قصدها هذا لم يعد يسعني الصبر عليها وكدت ادخل معها في خصام طويل عريض . والآن حين بلغها دك عزمهُ على السعي في تبرئة ساحة غودارد استأذنت في حضور الاجتماع تتهامى عن زوجها وتمهّد السبيل الرجوع اليها ! فأخلق بها ان تكون ملاكاً —

فاعترضها زوجها قائلاً : —

— اي عزيزتي كتي . خلّي عنا الآن إطالة الكلام في اظهار مؤاساتك لها ودعينا نغتنم هذه الفرصة للكلام في ما هو اهم من هذا

— الا تجيز لي ان افوه بكلمة واحدة بلا اعتراض ؟ فالمستر بركز صديقي القديم . نعم اننا لم نجتمع معًا سوى مرة واحدة ولكن — لا بأس . مالنا ولهذا . اعلم يا مستر بركز انني سعيت قدومي الى هنا اخذت رسالة قصيرة من السيدة ارلنفورد تقول فيها : —

" بعد ظهر اليوم وقفت على خبر جديد اوشكت من جرّائهِ ان ابيت بلا شعور على الاطلاق وسأطلعك عليهِ فيما بعد . اما الآن فمن الضروري جدًا ان اقابل المدعوة الشيطانة الجميلة على انفراد . إذًا حينما نجتمع معًا هذه الليلة تحلّي لكَ عذرًا واتركينا وحدنا يضع دقائق . اتلي هذه الاسطر على المستر بركز واسأليهِ ان يسعى في اتمام ما طلبت "

ثم القت الرسالة على المكتبة واذ حانت منها التفاتة الى اوراق منشورة عليها ابصرت بينها

غدارة مسدسة الطلقات فرفعتها بيدها وقالت :

— ما هذه يا مستر بركر ؟

— احذري ! احذري ! انها محشوة ورصاصها على صغر حجمه يشوي شيًا ولو على بعد

فأجفلت من هذا الانذار وما كذّبت ان ارجعتها الى مكانها واستأنفت كلامها معهُ : —

— ما رأيك في هذه الرسالة ؟

— لا اعلم . وعلى كلٍّ ارى التامها بسيطًا . وبعد بضع دقائق تكون هي والبارونة هنا فننظر في الامر

ثم أعلن قدوم السيدة الس فنهض المستر بركر لاستقبالها وقال لها بعد التحية : —

— الم تنتظري القائد غودارد بعد ؟

— كلاَّ وقد توقعت ان اراهُ هنا . آه كم أراكِ سعيدةً يا كتي ويسرني ذلك جدًّا . هل وقفتِ على رسالتي ؟

— نعم لكني لم افهم فحواها . فهل نظرتِ البارونة التدورف ؟

— نعم — اتفاقًا — بعد الظهر ومنها وقفت على الحقيقة

— الحقيقة ؟

— نعم فقد اخبرتني عن نفسها من هي ومن كانت

— من هي ؟ وما هي ؟

قال هذا دك وكتي معًا . فقالت ألس : —

— ألا تعلمان من هي ؟ — كلاَّ

— البرنسس غالتزن

وهاتان الكلمتان نطق بهما اتفاقًا خادمٌ دخل وفتح مصراعي الباب وادخل الشيطانة الجميلة فاعتراهم دهشة من رؤيتها ونهض المستر بركر لملاقاتها ومهّد لالس سبيل الاجتماع بها على انفراد

فلما خلتا احداهما بالاخرى نهضت الس وقالت للشيطانة الجميلة : —

— اتسمحين لي ان اقبّل يدك ؟ لاني لست بمستحقةٍ بعد استماع قصتكِ أن المسكِ ولا بدَّ ان اكون قد غظتكِ جدًّا بجهالتي فهل لكِ ان تسامحيني ؟

— ليتني اقدر ان ازيل عنكِ ثقل كربكِ كما اقدر أن اسامحك — إن صحَّ وجود ما يستدعي مسامحتي لكِ — فكنت افعل ذلك الوفا من المرات . وصدقيني انني باطلاعي على

مصيبتك نسيت مصيبتي . فكم اودّ لو كنت قادرة ان اساعدكِ ! وكم اتمنّى لو اني اقوى على ايضاح حقيقة اشتراكي في احزانكِ

— نقدرين ان توضحي ذلك — ان اردتِ — بل تستطيعين ان تخبريني كل ما اريدهُ من الراحة والسلام في حياتي المحزنة . افلا تجيبين سؤل قلبي ؟

— ماذا ترومين ؟

— ان تعطي جاك — لورد ارلنفورد — فرصة لتبرئة نفسهِ من التهم التي تظنينهُ مأخوذًا بها . . اني عالمة انهُ سوف يبذل جهدهُ في اصلاح ما اساء بهِ الى اوبين . وسوف ينسى اوبين الماضي لاجلي . افلا تفعلين نظيرهُ ولكِ — ان اردتِ — قدرة على الغاء قرانكِ بهِ بـ — زوجي بلا مانع . اليس كذلك

— بلى ولكن لِمَ تطلبين هذا ؟

— لاني اروم الاخذ بيدهِ حتى يكفر عن الماضي وان اعتقتهِ وخلصتهِ الحرية فانا مستعدة ان اقبلهُ زوجًا لي . لي منهُ بنت صغيرة ومن اكبر واجباتي بذل جهدي في ارجاع ابيها اليها

— وهل يمكنك ان تعيشي مع هذا الرجل المستحق كل خذلان واحتقار لانكِ ترين ذلك من واجباتك ؟

— نعم ! لان هذا آخر ما استطيعهُ لكي اعوض بنتي ما المّ بها من الأذى والاّ فلا اقدر في المستقبل ان ارفع نظري اليها حينما تسألني عن ابيها . فهل تجيبين سؤلي ؟

— اكراماً لكِ اعدكِ اني اصفح عما جناهُ عليَّ واما عن جنايتهِ على اوبين غودارد فلا اقدر — ولا أريد . فحريتهُ اذًا لم تبقَ متوقفة عليَّ بل على اقرارهِ هذه الليلة . فرجع نصيبهِ اليهِ ومعوّل مستقبلهِ عليهِ

— جزاكِ الله عني خير الجزاء

واذ ذاك دخل المستر بركر وقال لهما : —

— جاء القائد اوبين فهل ادخل بهِ الى هنا ؟

فاجابتهُ الس : —

— تمهّل عليَّ دقيقة واحدة . اني خائرة القوى وليس في استطاعتي تحمل شيء بعد . فهل تأذن لي يامستر بركر ان استريح قليلاً في غرفة اخرى قبل انطلاقي ؟

— نعم تعالي ادخلي هذه الغرفة ريثما تأتي مركبتكِ فاخبركِ . ولما خرجت مع بركر قالت الشيطانة في نفسها :

— لايجسر احدٌ ان يقول ان هذه المرأة مخطئة — حتى انا التي نسيتُ بسببها ماحلت بهِ مؤخرًا من دنو ساعة التشفي واقتراب وقت الانتقام

ثم ضغطت رأسها بيديها والتفتت نحو الباب فاذا بغودارد مقبل فقال مخاطبًا اياها

— عليَّ ان اشكر لكِ كل مساعيكِ الحميدة المبذولة في سبيل استرجاع شرفي بل استرداد حياتي

— اني اشتمُّ من كلامك هذا رائحة التوبيخ ولكن ألم ابذل جهدي في عمل ما استطعتهُ تكفيرًا عن اشتراكي في ما ألمَّ بك من المكاره ؟ ثم انَّ عاقبتك في دوه كوي نشأت عمَّا كنتَ فيهِ من البحران العميق لا عن ألبرنس سكولوف فلما صحوت كنتَ حرًّا طليقًا تذهب من حيث أتيت

— حقًّا ان هذا الرجل عجيب . فكيف لم يقتلني بعد ما قبض عليَّ مع انَّهُ لو فعل ذلك لكان قتل طائرين بحجرٍ واحدٍ — بل بالحري رجلين برصاصة واحدة . ولا بُدَّ ان المشهد كان في ذلك المساء مخيفًا ولا تبرح صورتهُ من ذهني

— انهُ من اعظم بواعث خجلي . فحينما عرفك البرنس ووجدتُ ان احتيالي عليهِ لاجل نجاتك لم يجدِ فتيلاً استولى عليَّ اليأس فتقدمت اليهِ طالبة ان افتدي منهُ حياتك وقلتُ لهُ "دعهُ يذهب واعدك اني لا انظرهُ ما عشتُ وانا نفسي أعطى لك عوضًا عنهُ ! "

— يا لله ! وماذا اجابكِ ؟

— اجابني بكل بساطةٍ . "اني احببتكِ منذ ما عرفتكِ ولم تدركي كنه هذه المحبة . فارجو اني اقدر يومًا على اقناعكِ باني محبٌ قانطٌ — ورجل حليف المروءة والانسانية" وهذا كل ما قالهُ لي . وبعد ما نقهتَ جلسنا نأتمر على إخفاء الاشراك لارلنفورد . ولست اخجل اني جثوت على ركبتيَّ امامهُ والتمستُ عفوهُ . وبواسطة مساعيهِ ومشوراتهِ أخفي خبر امرك وما يتعلَّق بهِ عن الجنرال سكوبيلف

— يا لهُ نديمًا فاضلاً !

— ومن حسن طالعك ان جرحك كان بالغًا ولم يشفَ الاَّ بعد انتهاء الحرب

فرفع اوبين يدها وادناها من شفتيهِ وقال بصوت شفَّ عن اعمق عواطف قلبهِ واباح مكنونات حبهِ : !

— وقد كابدتِ هذا كلهُ لاجلي ! فيا عجبا ! ولماذا ؟

فتبسمت عن اتقى من اللآل . وامالت منها جيد الغزال . وقالت مداعبة شأن ربات

الحجال في مثل تلك الحال : —

— لانك كريهٌ في ذوقي . لاني لا احبك . لاننا مطبوعان على بغض احدنا الآخر . افليست هذه اسبابًا كافية يا اوبين ؟

وحينئذٍ اصبح هذا الرجل في الحال انسانًا ولم يعد البطل اوبين غودارد فضمَّ الى صدرهِ تلك التي باتت ايضًا امرأةً ولم تعد الشيطانة الجميلة فالقت نفسها بين ذراعيهِ واستسلمت بفرط الوجد اليهِ

وعنفتهُ عنهُ تروم ابتعادها وقوة نارِ الشوق منهُ لها تُدني
فقبَّلها والوجدُ عنها مترجمٌ بعيشك زدني منهُ يا منيتي زدني

ولولا قليل كان بركر رآهما إذ دخل الغرفة فجأةً وقال : —

— جاء اللورد ارلنفورد ايتها البرنسس فهل يدخل ؟

— تمهَّل قليلاً . واعلم اني بسبب الحاح السِّ الشديد حلتُ عن عزمي ووعدتها المساعدة . ولهذا لا ارى من حاجة اليَّ ان كان يوقع الإقرار . وعندي انهُ لا يعلم اني وجدتهُ . فدعني اذًا ادخل هذه الغرفة ومنها اقدر ان اسمع ما يقول

— كما تريدين

ثم ادخلها الى غرفةٍ صغيرة ملاصقة القاعة ومتصلة بها من شباك كبير بينهما يغطيهِ ستار صفيق . وعلى اثر خروجها من القاعة دخل دك سافيل يصحبهُ اللورد ارلنفورد والماجور كرتر . وبعد ما جلسوا جميعهم افتتح المستر بركر الكلام فقال : —

— ليس فينا من يجهل الغاية التي اجتمعنا لاجلها . فاسمحوا لي ان اتلو عليكم صورة الاقرار التي يطلب من اللورد ارلنفورد توقيعها وهي :

"انا جون فاين فيكونت ارلنفورد أُقرُّ بان ما اتهمت بهِ الشريف القائد اوبين غودارد كان كذبًا مختلقًا لا حقيقة لهُ . وقد تعمَّدت هذه التهمة تعمُّدًا — مع علمي ببطلانها — متخذًا اياها ذريعة لنيل غرضٍ ادركتهُ بواسطة نجاح تهمتي هذه واخفاق سعيهِ في رسالتهِ التي كان مزمعًا ان ينطلق بها ليلتئذٍ" . فان وقَّعت ايها اللورد هذا الاقرار بشهادة الحضور وضعت حدًّا لهذا الاجتماع المكدِّر

فنهض ارلنفورد على قدميهِ وصاح : —

— اوقع هكذا الاقرار ! اني ارفض ذلك كل الرفض . وانما اقول اني ارتكبت خطأً ليس الاَّ

فقال دك سافيل

— انت مخيرٌ ايها اللورد

— نعم وليس في الارض من قوة تضطرني ان أفعل اكثر من هذا

— لعلي استطيع ان أقنعهُ بوجوب توقيع هذا الاقرار !

قالت هذا الشيطانة الجميلة واندفعت من وراء الستار من خلف ارلنفورد الى داخل القاعة. فلما سمعها التفت واذ رآها أجفل اجفال الخجل وصاح مذعورًا : —

— كاترينا غالتزن ! يالله !

فاجابتهُ هازئة : —

— نعم ولسوء الحظ زوجتك

فدهش جميع الحضور وصرخوا بصوتٍ واحدٍ : —

— زوجتهُ !

فتغلب ارلنفورد على انفعالهِ وتكلف الثبات وقال متهكمًا : —

— يصعب عليكِ ان تبرهني شرعية زواجنا بالطريقة التي اتبعناها حتى في روسيا . واظنكِ اعقل من ان تعرضي نفسك لتبعة شيوع كونكِ حظيتي

— فشبَّ كلامهُ هذا نار الغيظ في فؤاد غودارد وتحفز للايقاع بهِ لو لم يعارضهُ سافيل وتجل البرنس بينهما . اما هي فاجابتهُ بمزيد الازدراء : —

— لعل عيبي الوحيد اني كنت لكد الطالع زوجتك . ولكن على رغم رواغك لست بمستطيعٍ الافلات من يدي . فاعلم ان مرجع الافراج عنك اليَّ . ومعوَّل نيلك الحرية عليَّ وفي يدي زمام حياتك لانها لي ولا اتكلف في تقرير نصيبك سوى اشارة صغيرة باصبعي . اذًا توقع هذا الاقرار حالاً ؟

— نحن الآن في انكلترا لا في روسيا . ولهذا ارفض التوقيع فافعلي ما شئتِ

— رأيتُ مركبة البرنس سكولوف في الدار اسفل فتفضَّل ايها المستر بركز بدعوتهِ الى هنا فخرج بركز يدعوهُ ولما دخل بهِ قالت لهُ : —

— اتريد ايها البرنس ان تخبر ارلنفورد بأننا نقدر عندما تمس الحاجة ان نثبت للعيان جريمة إضرارهِ وانَّ خوف اشتهار هذا الامر لا يقعدنا عن السعي في إحباط مساعيهِ وتخييب امانيهِ فقال ارلنفورد ساخرًا : —

— انكما كاجنبيين يترتب عليكما مراعاة معاهدات مخصوصة لا تمكنكما من نيل مأربكما

فاجابهُ البرنس بكل رصانةٍ : —

— ولكن ليعلم اللورد ارلنفورد أنَّ المعاهدات بين دولتينا مكنتني من تحصيل امر القبض عليك وسوقك الى بطرس برج لا الى لندن لتحاكم على جريمةٍ ارتكبتها

— واية جريمةٍ — جريمة القتل

— انك لاقصر من أن تقوى على اتهام انسانٍ بشيءٍ يجهلهُ او تقول لي من قتلت

— ذلك كلهُ تجدهُ موضحاً في هذه البراءة

ثم دفع اليهِ صكاً واستطرد كلامهُ : —

— هذا فضلاً عن ان اقامتك الطويلة في روسيا واطلاعك المدقق على احكامها وشرائعها وعلاقتك الشديدة ببوليسها تقنعك باننا نفعل ما لنا حقٌّ فيهِ ولا نقدم على اجرائهِ اعتباطاً ولا نكيل القول فيهِ جزافاً

— ولكنَّ اقدامك على هذا يقتضي نفقة باهظة يصعب عليك تحملها . —

هوذا ضباطي اسفل واظنك تمثل الامر بالذهاب معهم بلا تردد وسأكتب اليهم بعض كلمات في هذا الشأن

ثم جلس يكتب وكان ارلنفورد واقفاً يقلب نظرهُ في ذلك الصك بما لا مزيد عليهِ من الحيرة والدهشة . واذ ذاك دخل الخادم والقى رقعة بين يدي المستر بركر واسرَّ الى البرنس غالتزن كلاماً فخرجت على الاثر ودنا ذلك سائيل من البرنس سكولوف وقال لهُ :

— أرى هذه الشكوى هائلة جداً وقد جاءت على غير انتظار

— لا يخفى عليك ان الادواء الحادَّة لتطلب ادوية احدَّ منها

— وهل تقوى على اثبات جريمتهِ ؟

— لستُ في حاجة الى ذلك لأنَّ اللورد ارلنفورد يؤثر توقيع الإقرار في هذه الجلسة على الرجوع الى روسيا واظنك فهمت مرادي

وبعد ما فرغ اللورد ارلنفورد من مطالعة الصك سار نحو الباب ووقف ملتفتاً الى الحضور غير منتبهٍ الى دخول البرنس غالتزن والسيدة املي دشتون من ورائهِ وقال بلهجة المدافع الجسور : —

— مهما يكن من امر تحاملكم عليَّ فلست بمعرّض نفسي لخطر مقاومتكم وقد قدَّر لي حسن الطالع مخارج انجو بها بمساعي زوجتي وبالطرق التي نهجتها حديثاً . على انهُ باقٍ في زوايا هذه الحادثة امرٌ اكتنفهُ الغموض واخفاه ولم يبقَ فيهِ اثر للوضوح والجلاء . وهو الورقة التي اخفاها القائد غودارد "روّا السباقي" فان فقدها كان امراً غريباً

فنادتهُ البرنس غالازن من ورائهِ : —

— لا حاجة للاستغراب فهذه هي !

ثم وضعتها على المائدة وتقدم الجميع مزدحمين لمشاهدتها واستطردت البرنس كلامها : —

— فانتم ترون ان هذه الورقة مرقوم على ظهرها علامة مقمر كان اللورد ارلنفورد يتردد اليهِ . وقد اعطاها في تلك الليلة للسيدة املي لتمزقها لكنها لحسن الحظ لم تجب طلبهُ . اما الورقة الاخرى — ذات النقطتين — (الجويزة) — التي اخفاها القائد غودارد فسيؤتى بها عند الطلب

فقال اللورد ارلنفورد لاملي التي كانت متكئة على المكتبة مقابلهُ : —

— عليكِ ان تذكري بالتفصيل كيف حصلتِ على هذه الورقة

— اني مستعدة لذلك تمام الاستعداد . ولكن قل لي أرأيت الآن صبح ليلتك ومساءها وعلمتَ ان وراء الاكمة ما وراءها ؟ اما انذرتك بعد ظهر اليوم أن —

— اتم عدة امور ومن جملتها أن اتزوجكِ

— كلاَّ بل قلتُ لك انك لا تتزوج غيري

— وقد قلتُ لكِ ان الانسان لا يتزوج حظ —

— صه :

قالت هذا بصوت ارعدتْ بهِ إرعادًا وقامت عيناها بأمرِ رأسها تنقدان انقادًا ثم لاحت منها التفاتة الى الغدارة الملقاة تحت يدها فاخذتها باسرع من ومض البرق واطلقتها عليهِ فجندلتهُ وسقطت هي مغشيًا عليها

ثم فتح الباب في الحال ودخلت السيدة ارلنفورد مسرعة الى حيث كان زوجها مطروحًا في حالة النزع فعطفت عليهِ وصاحت : —

— ويلاه ! جاك ! ماذا اصابك ؟

فرفع رأسهُ بجهدٍ عنيفٍ واشار يسترعي اصغاء الجميع ثم قال يخاطب امرأتهُ بصوت النازع المشرف على الموت : —

— انا — انا قتلتُ نفسي . مسكينة انتِ ايها المرأة ! لقد تخلصتِ مني !

وما تم هذه الكلمات حتى سقط بين ذراعيها ومات

(انتهت)